مبادىء فى علم الدخيل

إعداد

الدكتور / أحمد عبدالمهيمن عبدالصادق قنصوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــد.

فهذه دراسة تحليلية نقدية متأنية فى مادة الدخيل فى التفسير، دفعنى إلى هذه الدراسة ما وجدته فى بعض كتب التفسير مما لاصلة له بتفسير كلام الله، فقد فسر الكثير من نصوص القرآن الكريم بما لايتفق والغرض الذى نزل من أجله وتسرب إلى التفسير كثير من القصص الإسرائيلى الذى لايصح الكثير منه وقد دخل معظم هذا القصص عن طريق أعداء الإسلام الذين أرادوا تشويه جمال القرآن الكريم والإسلام والحط من كمالهما.

وقد تناقل هذا القصص بعض المشتغلين بالتفسير بنية حسنة وصوب به كتبهم فاغتر به الناس وحسبوا أنه صحيح وبعيد عن العبث فصدقوه ما دام هؤلاء الثقات قد ذكروه على مافيه من كذب وأباطيل والسبب فى ذلك. كونه ليس مأخوذا من القرآن الكريم، ولا من السنة النبوية المطهرة، ولا انعد عليه إجماع الصحابة أو التابعين، أو غيرهم من أهل الحل والعقد فى أى عصر من العصور.

وكونه كذلك جعل أهل الاجتهاد يجتهدون لكى يأخذوا الأجر على هذا الجهد وهذه المشقة فى تحصيل العلوم، فكان لابد أن تقع بعض الأخطاء التى لايسلم منها بشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أجل ذلك أردت أن أدرس هذه الظاهرة «الدخيل فى التفسير» وأنبه جماهير المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة بهذا الدخيل لكون الناس على بنية مما يقرأون فلا تلتبس عليه الأخبار الصادقة بالروايات الكاذبة، وأحذرهم مما أصاب هذا التراث التفسيرى من خلط وضعف.

ولا أدعى أننى أول من قام بهذا العمل فقد سبقنى إليه علماء أفاضل وأساتذة أجلاء ساهموا فى تنقية التفسير من الدخيل وقد استفدت منهم الكثير ووفقنى الله عز وجل لتسميته بالدخيل فى التفسير.

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يلهمنى فيه الحق والصواب، ويجنبنى فيه الخطأ والنقص والتقصير، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

مبادئ علم الدخيل فى التفسير

جدير بنا قبل أن نتناول مسائل هذا الفن، والذى جرى عليه العرف الآن وسماه «بالدخيل» أن نلم أولا إلمامة كلية مجملة بالمحتوى الفكرى الذى تفيده هذه الكلمة، وأن مايتم به تحصيل هذه الإلمامة يتمثل فى عشرة أمور ككل فن من الفنون نظمت فى قول بعضهم:

إن مبادئ كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبته والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائله والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا[1]

وتطبيق هذه المبادئ على «الدخيل فى التفسير» على النحو الآتى:

فأول هذه المبادئ العشر وهو: «حد الدخيل» فسيأتى بيانه فيما بعد عند ذكرنا لتعريفه فى الاصطلاح.

وثانى المبادئ: موضوعه «تفسير القرآن الكريم من حيث بيان مافيه من الدخيل».

وأما ثالثها: فهو مرة هذا العلم.

فليس يخفى عليك أن دراستك للدخيل فى التفسير توصلك إلى نتائج هامة فيما يتعلق بالوقوف على ماهو أصيل وماهو دخيل ويمكنك من

---

(١) حاشية الباجورى ٢٤، ٢٥.

موضوعه: تفسير القرآن الكريم من حيث بيان مافيه من الوصيل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمييز هذا التراث الإسلامى مما سابه من هؤلاء المغرضين عن جهل أو سوء قصد، وما أحسن الاشتغال فى هذا وأنت تنظر بعين الفاحص المدقق فى هذه المدونات التفسيرية وتلك الأقوال المبعثرة فى كتب أصحاب الرأى المذموم والفلاسفة لكى تنفى هذا التراث الإسلامى.

رابع هذه المبادئ فضله:

إن الشىء يفضل ويشرف بقدر ما لغايته من الفضل والشرف وغايته كما تضمنتها الثمرة تصفية المدلول اللفظى للقرآن الكريم مما يشوبه واعتماده صحيحا خالصا، ففضله هو فضل التفسير ذاته، ولكى نوضح لك هذا الفضل نذكر لك فضل التفسير.

يقول الإمام السيوطى عليه رحمة الله[١]، نقلا عن الأصبهانى: «ولما كان علم التفسير أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان، لأن شرف الصناعة يشرف بشرف موضوعها مثل الصباغة فإنها أشرف من الدباغة، لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذى هو جلد الميتة.

وإما بشرف غرضها، مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة، لأن غرض الطب إفادة الصحة، وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

وإما لشدة الحاجة إليه كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق إلا وهى مفتقرة إلى الفقه، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب، فإنه يحتاج إليه بعض الناس فى بعض الأوقات.

---

(١) السيوطى- الإتقان ٤/١٧٢، ١٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا عرف ذلك، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة:

أما من جهة الموضوع، فلأن موضوعه كلام الله عز وجل الذى هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، لايخلق على كثرة الرد، ولاتنقضى عجائبه.

وأما من جهة الغرض، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة، فلأن كل كمال دينى أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله.

خامس هذه المبادئ نسبته إلي غيره من العلوم:

هو بالنسبة للتفسير بمنزلة اللازم من الملزوم ومنزلة الفرع من الأصل، وبالنسبة إلى سائر العلوم التباين.

سادس هذه المبادئ وهو الواضع لهذا العلم:

كان هذا الفن إلى عهد قريب يدرس بين موضوعات «مناهج المفسرين» ولانزال نرى بعض من يخلط بين أنواع الدخيل، وموضعات مناهج المفسرين، ولا يمنع ذلك أن هناك كتبا دافعت عن كتاب الله وبينت الأصيل من الدخيل وإن لم تكن سميت باسم الدخيل، فأبو عبيدة يؤلف كتابا سماه «مجاز القرآن» يدفع به الإشكالات الواردة عن بعض متشابه القرآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشيخ الإسلام الإمام بن تيمية يؤلف رسالة وجيزة سماها «مقدمة فى أصول التفسير» يبين فيها الأصيل من الدخيل وأن كان قد تحدث عن طرف قليل منه، بجانب ذلك أن غالبية كتب التفسير لم تسكت على هذا الدخيل وإنما نبهت عليه كابن كثير وابن عطية، والقرطبى.

وجاء القرن الرابع عشر الهجرى فظهرت مؤلفات خاصة فى بعض ألوان الدخيل من أمثال «الإسرائيليات فى التفسير والحديث» «الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم، وهما للأستاذ الكبير الدكتور محمد حسين الذهبى عليه رحمة الله، والإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة عليه رحمة الله.

ومنذ سنوات قليلة كانت هناك عناية فائقة بدراسة الدخيل، فقامت كليات جامعة الأزهر بتدريسه كمادة أساسية، ونوقشت فيه رسائل كثيرة كالدخيل فى تفسير بن جرير الطبرى للدكتور محمد عبداللطيف، الدخيل والإسرائيليات للدكتور إبراهيم بركة، الدخيل فى التفسير للدكتور فايز الخطيب والدخيل فى تفسير القرطبي للدكتور أحمد الشحات.

ومن البحوث القيمة التى نالت إعجاب الأساتذة والطلاب معا هو كتاب أستاذنا الدكتور عبدالوهاب فايد «الدخيل فى تفسير القرآن الكريم، وكتاب أستاذنا الدكتور «إبراهيم خليفة» «الدخيل فى التفسير» وكتاب أستاذنا الدكتور سيد مرسى «منحة الجليل».

سابع هذه المبادئ: اسمه:

فهو باعتبار مسماه اعتبار مطابقة حديث لأنه لم يكن فى القديم يسمى بهذا الاسم كما أسلفنا فى المبدأ السادس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثامن هذه المبادئ: استمداده:

فمن الأقوال التفسيرية أولا، ومن دراسة التراث الدينى والعقدى لمختلف الملل والنحل مع التعرف على لغتهم وأحوالهم مع كشف ماتنطوى عليه آراؤهم المتعددة من اتفاق تارة واختلاف أخرى، ثم المناحى الفكرية عند الفلاسفة وعلماء الكلام والصوفية، مع الإحاطة التامة بالتطور التاريخى والأوضاع الاجتماعية.

تاسع هذه المبادئ: حكم الشارع فى الاشتغال بدراسته:

هو الوجوب والفرضية الكفائية بالنسبة لعامة المسلمين ضرورة أنه يجب عليهم أن يقوم منهم العدد الكافى لدراسته دراسة تؤتى ثمرة العمل الواجب بما فيه جملة وتفصيلا.

عاشر هذه المبادئ: مسائله:

فإن مسائله فى جملته تدور حول هذا العيب والفساد من الأقوال التفسيرية التى تتعرض للآيات القرآنية(١).

---

(١) أ.د/إبراهيم خليفة- الدخيل/١١، أ.د/أحمد زغلول- الدخيل/١٨ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

الدخيل فى التفسير وكيفية معرفته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول
الدخيل فى التفسير وكيفية معرفته

وينقسم إلى عدة مباحث.

المبحث الأول
الدخيل لغة

جاء فى لسان العرب: أن الدخيل ما داخل الإنسان من فساد فى عقل أو جسم، وقد دخل دخلاً ودخل دخلاً فهو مدخول أى فى عقله دخل، وفى حديث قتادة بن النعمان: وكنت أرى إسلامه مدخولاً، والدخل بالتحريك: العيب والغش والفساد يعنى أن إيمانه كان فيه نفاق.

ودخل أمره دخلاً: فسد داخله... ونخلة مدخوله أى عفنة الجوف والدخل العيب والريب، ومن كلامهم.

ترى الفتيان كالنخيل ومايدريك بالدخل[١]

وقال الراغب الأصفهانى: «الدخول نقيض الخروج ويستعمل ذلك فى المكان والزمان والأعمال يقال دخل مكان كذا.

قال تعالى: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾[٢]، ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[٣]، ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾[٤]، ﴿ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾[٥]، ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾، ﴿رب أدخلنى مدخل صدق﴾[٦].

---

(١) ابن منظور- لسان العرب ١٣٤٢/٢.
(٢) سورة البقرة (٥٨) .
(٣) سورة النحل آية ٣٢ .
(٤) سورة الزمر آية ٧٢ .
(٥) سورة المجادلة آية ٢٢ .
(٦) سورة الإنسان آية ٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمدخل بفتح الميم من دخل يدخل، ومدخل بضم الميم من أدخل ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾(١).

وقال أبو على العسوى: من قرأ (مدخلا) بالفتح فكأنه إشارة إلى أنهم يقصدونه، ولم يكونوا كمن ذكرهم الله سبحانه وتعالى ﴿الذين يحشرون على وجوهم إلى جهنم﴾.

ومن قرأ (مدخلا) فكقوله ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ والدخل بتشديد الدال وفتح الخاء كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة كالدخل «بتشديد الدال وفتح العين».

وعن الدعوة فى النسب يقال: دخل دخلا فهو مدخول كناية عن بله فى عقله وفساد فى أصله، ومنه قيل شجرة مدخولة(٢).

وجاء فى القاموس المحيط:

الدخل محركة ما داخلك من فساد فى عقل أو جسم وقد دخل كفرح. والدخل الغدر والمكر والداء والخديعة والعيب فى الحسب والشجر الملتف، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم، والدخيل كلمة أدخلت فى كلام العرب وليست منه(٣).

وقال الزبيدى: الدخل محركة ما دخلك من فساد فى عقل أو جسم وقد دخل كفرح والدخل: العيب الداخل فى الحسب.

والدخل: القوم الذين ينتسبون إلى من ليس منهم وهو دخل أى من غيرهم ويدخل فيهم(٤).

---

(١) سورة الحج آية ٥٩ .

(٢) الراغب الأصفهانى- المفردات تحقيق سيد كيلانى ١٦٦.

(٣) الفيروزآبادى- القاموس المحيط، ٣/ ٣٧٥.

(٤) الزبيدى- تاج العروس، ٧/ ٣٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد هذه الأقوال الأربعة ومن خلال أقوال هؤلاء العلماء يتبين لنا أن كلمة «الدخيل» لغة تعنى العيب والفساد الذى اجتهد صاحبه غالباً فى دس حقيقته وإخفاء أمره بين الأصيل من تفسير كتاب الله عز وجل بحيث يحتاج فى بيانه وكشفه إلى بذل كثير من الجهد وكثير من التأمل.

الدخيل فى الاصطلاح:

قبل أن نعرف الدخيل فى الاصطلاح نريد أن نبين لك معنى الأصيل أولاً لكى تتضح لك الحقيقة لأن الأشياء تتميز بأضدادها فنقول وبالله التوفيق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى

الأصيل فى التفسير

أولاً : الأصيل فى اللغة:

جاء فى لسان العرب أن الأصيل: ما له أصل كالرجل الأصيل، والرأى الأصيل، والرجل الأصيل أى الثابت فى الرأى والعقل(١).

وقال: الفيروزآبادى: الأصل أسفل الشىء، والأصيل من له أصل(٢).

وقال الفيومى: أصل الشىء أسفله، وأساس الحائط أصله، واستأصل الشىء ثبت أصله وقوى ثم كثر حتى قيل : أصل كل شىء مايستند وجود ذلك الشىء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول(٣).

من خلال هذه الأقوال الثلاثة للعلماء يتبين لنا أن كلمة أصيل فى اللغة: تعنى الشىء الذى له أصل ثابت.

ثانياً: الأصيل فى الاصطلاح:

ذكر العلماء أن الأصيل فى الاصطلاح الذى له أصل فى الدين لا يخرج عن أمرين اثنين هما :

أولاً : ماكان مستمداً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ، أوقول صحابى أو تابعى من التابعين بعد توفر الشروط اللازمة لذلك.

---

(١) ابن منظور- لسان العرب ١٣٤٢/٢.

(٢) الفيروزآبادى- القاموسى المحيط ٣٧٥/٣.

(٣) الفيومى: المصباح المنير مادة دخل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: أن يكون الأصيل ناشئا عن رأى اجتهد صاحبه بعد ما توفرت فيه شروط الاجتهاد(١).

وإليك البيان بهذه المصادر الأصلية التى ذكرناها:

المصادر الأصلية:

أولا : القرآن الكريم كمصدر أصيل من هذه المصادر. وهو أصح الطرق لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضع آخر، وما اختصر فى مكان قد بسط فى موضع آخر(٢).

فعلى من أراد أن يفسر القرآن أن ينظر فى آيات القرآن الأخرى ويجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فإن ما أجمل فى موضع قد يبين فى موضع آخر، وما أشكل فى موضع قد يوضح فى موضع آخر، وما جاء فى آيات مطلقا قد يقيد فى آيات أخرى، وما ورد عاما قد يدخله التخصيص فى آيات أخرى، وماجاء موجزا فى موضع قد يفصل فى موضع آخر، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن:

المجمل والمبين تفسير الكلمات فى قوله تعالى: ﴿**فتلقى ءادم من ربه كلمات**﴾(٣)، بقوله تعالى ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخسرين**﴾(٤)، وقوله تعالى:

---

(١) أ.د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ٢٢ (بتصرف).

(٢) ابن تيمية- مقدمة فى أصول التفسير ٩٢.

(٣) مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية، ص: ٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم﴾[١]، فسرتها آية ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة﴾[٢] الآية.

وقد ورد نفى (الخلة) و (الشفاعة) يوم القيامة بقوله تعالى ﴿يأيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة والكافرون هم الظلمون﴾[٣].

وقد استثنى الله من الخلة خلة المتقين فى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[٤].

وقد استثنى الله من الخلة خلة المتقين فى قوله تعالى ﴿وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾[٥]،[٦].

وحيثما وجدنا طلبنا فى القرآن الكريم لم يجز لنا أن نعدل إلى غيره بأى وجه من الوجوه وذلك لأمور كثيرة منها:

أولا : أن صاحب البيت أدرى بالذى فيه، وأن خير من يفسر القول هو صاحبه نفسه[٧].

---

(١) سورة الأعراف: الآية: ٢٣.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٤.

(٤) سورة الزخرف: آية: ٦٧.

(٥) سورة النجم: آية: ٢٦.

(٦) أ.د/الذهبى- التفسير والمفسرون ٣٩/١.

(٧) المرجع السابق، ٣٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: أنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن هو المصدر الأول والأساس القويم الذى يقوم عليه بنيان الشريعة الإسلامية، والذى لا يمكن أن يتحقق الإيمان بدون الأخذ به والإذعان لجميعه جملة وتفصيلا.

ثالثا: أن ذلك ولا شك فيه من جملة الأوامر الإلهية الموجبة لطاعته تعالى، والإيمان بكتبه، ورد جميع الأوامر الإلهية إليه فيما تنازعنا فيه فضلا عما اتفقنا عليه من أمثال قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**[1].

رابعا: كون هذا القرآن كلام رب العالمين، أفضل كل قول وأحسن كل حديث، فلايمكن العدول عنه وهو الأفضل إلى المفضول وأنه معجزة بجملته وتفاصيله ومعناه بهدفه وغايته إلى غير ذلك[2].

ثانيا: السنة النبوية كمصدر أصيل:

السنة فى اللغة: الطريقة حسنة كانت أم سيئة، ومنه قول الرسول ﷺ، فيما رواه الإمام مسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيذة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

أما السنة فى اصطلاح المحدثين هى: ماورد عن النبى ﷺ، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ونحو ذلك.

والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام هى الأصل الثانى للإسلام بعد كتاب الله عز وجل لأنها تبين ما أجمل، وتوضح ما أشكل وتخصص ماجاء عاما فى القرآن الكريم، كما جاء ذلك فى قوله

---

(١) سورة النساء: آية : ٥٩.

(٢) أ.د/ إبراهيم خليفة- الدخيل/٢٤ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[١]، وقال جل شأنه ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[٢].

ويقول الإمام بن تيمية رحمة اله «فإن أعياك ذلك- يعنى تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له».

وقال الإمام الشافعى رحمه الله «كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله «السنة تفسر القرآن وتبينه»[٤].

وقد جاء عن رسول الله ﷺ، أحاديث كثيرة تفيد حجية السنة ومنزلتها العظيمة فى الدين، فمن ذلك ما رواه أبو داود عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه[٥] وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ خطب في حجة الوداع فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا، إنى تركت فيكم ماإن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه[٦].

وبعد هذه الطائفة من الآثار الواردة عن السلف الصالح نجد لزاما علينا أن نتبع هذه السنة الصالحة للحجية وذلك لأمور منها:

---

(١) سورة النحل آية رقم ٤٤.

(٢) سورة النحل آية رقم ٦٤.

(٣) ابن تيمية- مقدمة فى أصول التفسير ٩٣.

(٤) القرطبى- الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١.

(٥) رواه أبو داود فى سننه كتاب السنة باب ٥، أحمد بن حنبل فى مسنده ١٣١/٤.

(٦) الحاكم - المستدرك ٩٣/١، الترمذى - السنن ٥٤/٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : أن خير من يفسر القرآن الكريم هو من أنزل عليه الذى جاء فى وصفه بأنه ﴿**ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾[١]، فهو إذا بمقتضى كونه رسولا ثم بشهادة هذا النص.

ثانيا: إن البيان من أهم وظائف الرسول .. فلا شك أن يطلب هذا التفسير منه ﷺ.

ثالثا: كون اتباع الرسول ﷺ، من موجبات الأوامر الإلهية الموجبة لطاعته ﷺ، كما جاء فى كتاب الله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾[٢]،وقوله سبحانه ﴿**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾[٣].

وهناك وجوها للسنة النبوية لبيان الذكر الحكيم ليس مجال ذكرها الآن.

المصدر الثالث: من المصادر الأصلية:

أقوال الصحابة رضى الله عنهم كان الصحابة رضوان الله عليهم هم أوعية العلم لرسول الله ﷺ، فأخذوا عنه العلم والعمل مما جعلهم فى عداد المراجع الأساسية لتفسير كتاب الله عز وجل- يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله.

وحينئذ إذا لم تجد تفسير القرآن فى القرآن ولا فى السنة رجعت فى ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لاسيما

---

(١) سورة النجم: آية رقم ٣، ٤.

(٢) سورة النساء: آية رقم ٥٩.

(٣) سورة الحشر: آية رقم ٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علماؤهم وكبراؤهم»[١]، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا عربا خلصا يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم فهما لاتعكره عجمة، ولايشوهه شيء من قبح الابتداع وتحكم العقيدة الزائفة الفاسدة»[٢].

وإذا خفى عليهم معنى أو دق عليهم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فبين لهم ذلك ووضحه، وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم، وكان التفاوت بينهم واضحا فى هذه الرتبة، فكان بعضهم يرجع إلى بعض إذ التفاوت بينهم راجع إلى التفاوت فى قوة الفهم والإدراك.

وكان منهجهم يقوم على أسس ثابتة، فهم يلجأون إلى القرآن نفسه أولا، فإن لم يجدوا لجأوا إلى السنة فإن لم يجدوا لجأوا إلى الاجتهاد والرأى، وقليلا ما كانوا يلجأون إلى أهل الكتاب، وهكذا كان مذهبهم فى شتى شئون حياتهم العلمية والعملية. والدليل على ذلك ما جاء فى حديث معاذ بن جبل فقد قال له رسول الله ﷺ، حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم. قال، بكتاب الله قال فإن لم تجد، قال بسنة رسول الله، قال فإن لم تجد، قال اجتهد رأيى، قال فضرب رسول ﷺ، وسلم فى صدره، وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله[٣]، هذا ولم تكن هناك خلافات للصحابة رضى الله عنهم فى عهد رسول الله ﷺ، إذ أنه كان يزيل أى أشكال يقع بينهم، وإنما ظهر بعد ذلك بعد وفاة رسول الله واختلاف

---

(١) ابن تيمية- مقدمة فى أصول التفسير/ ٩٥.

(٢) أ.د/الذهبى- التفسير والمفسرون ٦/١.

(٣) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم ٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمر بن الخطاب مع أبى بكر الصديق فى قتال مانعى الزكاة، وسرعان مازال هذا الخلاف واقتنع عمر برأى سيدنا أبى بكر رضى الله عنهما.

وبعد هذه العجالة ونحن نستعرض المصدر الثالث نستطيع أن نقول إن تفسير الصحابة بما له حكم المرفوع إلى النبى ﷺ، بأن كان قول أحدهم مما ليس للرأى فيه مجال كالأمور الغيبية، وأسباب النزول، ولم يكن صاحبه معروفا بالأخذ بالإسرائيليات، وجب الأخذ به.

وإذ كان غير ذلك مما يرجع إلى اجتهاد الصحابى فهو موقوف عليه مادام لم يسنده إلى الرسول ﷺ.

وأوجب بعض العلماء الأخذ بموقوف الصحابى لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها وليست لغيرهم(١).

وقال الزركشى: يؤخذ بتفسير الصحابى وهو بمنزلة المرفوع إلى النبى ﷺ، وقال فى موضع آخر: ينظر فى تفسير الصحابى فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك فى اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه(٢).

المصدر الرابع: أقوال التابعين فى التفسير:

لم يكن هناك فارق كبير بين منهج الصحابة رضي الله عنهم ومنهج التابعين فقد تلقي التابعون تفسيرهم من الصحابة، ونقلوا عنهم كل العلوم والمعارف المتعلقة بكتاب الله تعالى، وجميع تعاليم الإسلام عامة.

---

(١) ابن تيمية- مقدمة فى أصول التفسير/٩٥.

(٢) الزركشى- البرهان ١٥٧/٢، ١٧٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان التابعون يتحرجون من التفسير كما تحرج الصحابة رضي الله عنهم، فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع[١].

وهذا الشعبى يقول: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله[٢]، وهذا القول منهم رحمهم الله تعالى محمول على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه[٣].

وقد اشتهر بالتفسير من التابعين جماعة على رأسهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى بن عباس، وزيد بن أسلم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء، وعكرمة مولي بن عباس، وغيرهم من أصحاب بن عباس كطاووس، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود.

وقام منهج التابعين فى التفسير على مصادر خمسة هى: القرآن الكريم، والسنة النبوية وأقوال الصحابة، والأخذ عن أهل الكتاب، والاجتهاد فى الرأى ويتميز عصر التابعين بأمور عديدة منها:

١- كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عما كانت علَيه فى عهد الصحابة الذى كان فيه الاختلاف ضيفا، قال ابن تيمية: ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن الكريم قليلا جدا، وهو وإن كان فى

---

(١) ابن تيمية- مقدمه فى أصول التفسير/١١٢.

(٢) المرجع السابق، ١١٣

(٣) المرجع السابق، ١١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التابعين أكثر منه فى الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى مابعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر(١).

ويعتبر هذا الاختلاف اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، كما ورد ذلك عن ابن تيمية(٢).

٢- كذلك تتميز أقوال التابعين فى التفسير بأنها تسلل إليها الكثير من الأحاديث الموضوعة والأخبار الإسرائيلية، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازى والملاحم والتفسير، قال بعض المحققين من أصحابه مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحيحة متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير(٣).

٣- توسع التفسير فى عهدهم بسبب ما احتاجه الناس فأتموا التفسير وشمل القرآن الكريم كله، وكان سبب ذلك كثرة الفتوحات الإسلامية، ودخل كثير من العجم فى الإسلام فزادت حاجتهم إلى تفسير كثير من الآيات التى لم يتناولها الصحابة رضى الله عنهم.

حكم تفسير التابعى:

اختلف العلماء فى حكم الرجوع إلى تفسير التابعى للآية إذا لم يرد تفسير لها عن الرسول ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، وهناك روايتان عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بالقبول والمنع.

---

(١) ابن تيمية- مقدمة فى أصول التفسير، ٣٧.

(٢) المرجع السابق، ١٠٤.

(٣) السيوطى- الاتقان ١٧٨/٢، ١٧٩، أ.د/عبدالوهاب فايد- الدخيل ٧٠/١، (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : اختار بن عقيل المنع، وحكوه عن شعبة أنه لايجب الأخذ بتفسير التابعين لأنهم.

١- ليس لهم سماع من رسول الله ﷺ، فلايمكن أن يحمل تفسيرهم على أنهم سمعوه من الرسول ﷺ، كالصحابة.

٢- أن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابة، كما ورد عن أبى حنيفة رحمه الله أنه قال: ما جاء عن رسول الله ﷺ، فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد(١).

٣- أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التى نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ فى فهم المراد(٢).

ثانيا: اختارت طائفة أخرى وهم أكثر المفسرين رواية أخرى عن الإمام أحمد رحمه الله:

أنه يؤخذ بقول التابعى فى التفسير إذا لم نجد تفسيرها فى السنة ولا فى أقوال الصحابة رضي الله عنهم لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة رضى الله عنهم، وحضروا مجالسهم، ونهلوا من علمهم، وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم(٣).

الرأى الراجح: يقول الإمام بن تيمية رحمه الله تعالى:

فإن أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به ولا يرتاب فى كونه حجة، لأجل الإجماع لأنه كما هو معلوم لابد أن يكون له سند من الكتاب

---

(١) ابن عبدالشكور- فواتح الرحموت ١٨٨/٢.

(٢) د/فهد الرومى- أصول التفسير ٣٤، (بتصرف).

(٣) ابن تيمية- مقدمة فى زصول التفسير، ١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو السنة الصالحة للحجية، فالأخذ بالمجمع عليه إذا هو أخذ فى ذات الوقت بمستند الإجماع.

وإن اختلفوا اختلافا لايتبين معه وجه الصواب فى قول هذا أو ذاك فإن أهل السنة لايلتفتون رليه، ولايكون قول بعضهم على بعض حجة، ولا على من بعدهم، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة فى ذلك(١).

رأى الأستاذين الجليلين الدكتور الذهبى، وفضيلة الشيخ أبوزهرة فى ذلك. يقول فضيلة أستاذنا الدكتور الذهبى رحمه الله: «والذى تميل إليه النفس هو أن قول التابعى لايجب الأخذ به إلا إذا كان لامجال للرأى فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولانعتمد عليه، أما إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره(٢).

أما رأى الشيخ أبو زهره رحمه الله فقال: «إن ماذكره على أنه أقوال للتابعين عن الصحابة فيما يتعلق بالأحكام الفقهية مقبول النقل، ويعتبر نقلهم عن الصحابة حجة عند أكثر الفقهاء على ما قررنا فى اعتبار أقوال الصحابة حجة.

ولكن التابعين إذا قالوا فى الحلال والحرام مفسرين للقرآن برأيهم فإنه إذا استثنينا أحمد بن حنبل وبعض المالكية، فإن باقى الأئمة لايعتبرون قولهم حجة، إنما يكون ما أيده من دليل هو الحجة، ويقول فيهم أبو حنيفة

---

(١) المرجع السابق، ١٠٥ (بتصرف).

(٢) أ.د/ الذهبى- التفسير والمفسرون ١٢٨/١، ١٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا آل الأمر إلى الحسن وإبراهيم فهم رجال ونحن رجال. ولكن الكلام فى القصص والكونيات، وبعض مايتعلق بالنبى ﷺ دخله الإسرائيليات، وكثرت فى كتب التفسير وتجاوزت الحد، وردد بعض التابعين كثيرا من الإسرائيليات.

ثم قال: بعد ذلك «ولقد توقف العلماء فى قبول الإسرائيليات التى راجت حول التفسير»(١).

وبعد ذكر هذه المصادر الأصلية الأربعة والتى هى: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين، زاد فضيلة أستاذنا الدكتور إبراهيم خليفة ثلاثة مصادر أصلية للتفسير وهى:

أولا : ما اختلف فيه الصحابة اختلافا لايخفى معه وجه الصواب.

ثانيا : ما لم يعرف فيه من مأثور الصحابة كذلك إجماع ولا اختلاف.

ثالثا : ما كان له حكم المرفوع المرسل من مأثور التابعين واعتضد مع ذلك بمرسل آخر أو نحوه من شاهد أو تابع، أو تحقق فى قائله شرط الأمامة، ويكون قد أخذ أغلب تفسيره عن الصحابة.

وهذه الثلاثة الأخيرة يؤخذ بها فى تفسير كلام الله عند اللزوم مع شرط ألا تتعارض مع المعقول ولو ظنياً وألا تركت من أجل المعقول(٢).

---

(١) فضيلة الشيخ أبو زهرة- المعجزة الكبرى، ٥٩٣، ٥٩٤، أ.د/ عبد الوهاب فايد- الدخيل ٧٣/١.

(٢) الدخيل ٣٣/١، (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

ثانيا: المصادر غير الأصيله فى التفسير

المصادر غير الأصيله فى التفسير هى عكس ما ذكرناه آنفا للمصادر الأصيلة وهى:

أولا : ما كان تفسيرا بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

ثانيا : ما لم يثبت سنده إلى أصحابة بأن كان موضوعا عليهم، أو روى عنهم بسند ضعيف.

ثالثا : ماكان من مأثور الصحابة فيما ليس للرأى فيه مجال، ولكن عزف عمن أثر عنه الأخذ بالإسرائيليات، وكان له صلة ببنى إسرائيل، ولم يوافق القرآن أو السنة، ويشمل ذلك أيضا مالم يعرف موافقته أو مخالفته للكتاب أو السنة.

رابعا : ما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم وكان قد اختلف فيه اختلافا ضلت معه الفكرة ولم يهتد فيه إلي الصواب[١].

خامسا: ما لم تثبت روايته عن التابعين بأن كان موضوعا عليهم، أو كان ضعيف الإسناد.

سادسا: مايتعارض تعارضا حقيقيا مع المعقول ولو ظنيا.

سابعا : ما تعذر معه الجمع عند التعارض مع الأقوى منه، كتعارض السنة مع القرآن، أو تعارض قول الصحابى مع القرآن أو السنة، أو قول التابعى مع قول الصحابى مع قول الصحابى القرآن أو السنة.

ثامنا : ماكاان من مرسل التابعين كالإسرائيليات، وإن وافقت الكتاب أو السنة مادامت هذه الموافقة لم يكن لها مايقويها ويدفع درجاتها إلى الحسن لغيره على أقل تقدير[٢].

---

(١) المرجع السابق، ٣٤/١ (بتصرف).

(٢) الدخيل ٣٥/١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع

الأصيل والدخيل فى الرأى

علمنا مما سبق ومن خلال ذكر المصادر الأصيله وغير الأصيله فى التفسير ماهو الأصيل فى النقل، وما هو الدخيل.

والآن نلفت نظرك إلى الشطر الثانى وهو الأصيل فى الرأى، فنقول وبالله التوفيق:

الأصيل فى الرأى:

أجمع العلماء على أنهم إذا لم يجدوا تفسير القرآن فى القرآن نفسه أو السنة النبوية الشريفة، أو فى مأثور الصحابة، أو فى أقوال التابعين اجتهدوا رأيهم بعد توفر الشروط اللازمة للاجتهاد، وتحصيل العلوم اللازمة لذلك متوخين فى ذلك أن يحملوا مفردات النظم الكريمة وتركيبه على ظواهرها، فلا حذف عندهم ما ساغ الذكر إذ ما لايحتاج إلى تقدير أولى فى منطق العقلاء مما يحتاج إلى تقدير، ولا مجاز فى اعتبارهم ما أمكنت الحقيقة، لما أن العدول عن الظاهر مع إمكانه طرح للدليل لغير شىء.

وأيضا فإن الحمل على الحذف مع استقامة الذكر، أو المصير إلى المجاز مع إمكان الحقيقة إلغاء تام لجميع مجارى الخطاب ومعانى الكلام.

إذ فى مقدور كل أحد حينئذ أن يزعم أن ما ألقاه أو ألقى إليه من كلام لم يرد به ظاهره المتبادر منه، بل هو على تقدير محذوف أو مصروف عن حقيقته إلى مجاز بقدره أو يجريه حسبما تطوع له النفس، ويسول له الهوى والغرض(١).

---

(١) أ.د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ٣٦/١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما حين تقوم القرينة الموجبة للصرف عن ذلك الظاهر، فإنهم حينئذ يصيرون إلى مقتضاها ويدعون ما صرفت عنه من ذلك الظاهر سواء أكان مايصيرون إليه تقدير المحذوف، كما يقول بعض كبرائهم فى أمثال الإمام أحمد رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام...**﴾الآية[١]، وقوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾[٢]، المراد به قدرته وأمره[٣].

أم كان حملاً على مجاز كما قالوا فى قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾[٤]، وهو مجاز إحاطته علماً وقدره فلولا أن الضرورة المنطقية هى التى حملت حملاً على العدول عن الظاهر إلى التأويل ما ساغ ذلك إذاً عند القوم»[٥].

ثانيا: دخيل الرأى:

نريد أن نوضح لك شيئاً مهماً وهو: أن كل رأى ضد ماذكرناه آنفاً بالنسبة لأصيل الرأى هو من الدخيل، والآن نذكر لك أولان هذا الدخيل:

أولا : ماكان ناشئاً عن فهم خاطئ نتج عن نقص فى بعض أدوات أو شروط الاجتهاد لكن مع حسن القصد، ويعتبر هذا اللونب كثير عند أغلب المفسرين لأن أضحابه حاولوا الاجتهاد فأخطأوا وليس ذلك عن سوء قصد.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢١٠).

(٢) سورة الفجر آية رقم (٢٢).

(٣) ابن الجوزى- دفع شبه التشبيه/٢٤.

(٤) سورة الحديد آية رقم (٤).

(٥) الدخيل: ٣٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: ماكان فيه تحريف للمنقول وتعطيل الظواهر بأن يحكم العقل أو يتحاكم إليه فيما ليس الحكم فيه للعقل، وهذا النوع موجود لبعض فرق المعتزلة، وبعض فلاسفة المسلمين من أمثال ابن سيناء، والفارابى، وابن رشد.

ثالثا: ماكان ناشئاً عن الجمود عند الظاهر مع الطرح التام لمقتضى العقل وهذا للمشبهة والمجسمة.

رابعا: ما نشأ عن التفلسف المتنطع فى طلب مابين السطور أو ما وراء السطور وهو لأهل التصوف الفلسفى.

خامسا: رأى نشأ عن التعسف والتقعر فى استعراض المقدرة اللغوية أو الإعرابية، والإتيان من ذلك بالبدع والغرائب- وهو لجهلة النحو، ومتنطعى اللغة.

سادسا: ما كان ناشئاً عن التكلف والقصد إلى إبراز مزيد من أوجه إعجاز القرآن الكرم وخاصة الإعجاز العلمى والكونى، مع جهلهم بأهداف القرآن السامية وهو لبعض المشتغلين بالعلوم المعاصرة.

سابعا: رأى نشأ على الفساد وكان الباعث عليه هو الإلحاد المتعمد فى آيات الله والكيد للإسلام، وهو للباطنية والبهائية والقاديانية(١).

والآن وبعد ذكر «نوعى الدخيل» وهما: دخيل النقل، ودخيل الرأى- نستطيع أن نعرف الدخيل فى الاصطلاح وهو:

التفسير الذى لا أصل له فى الدين على معنى أنه تسلل إلى رحاب القرآن على حين غرة، وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ(٢)، أو هو مانقل من التفسير ولم يثبت نقله، أو ثبت

---

(١) أ.د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ٣٩/١ (بتصرف).

(٢) أ.د/ عبد الوهاب فايد- الدخيل ١٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن على خلاف شرط القبول، أو كان من قبيل الرأى الفاسد(١).

وأو فى هذا التعريف هى للتنويع لا للشك بمعنى أن دخيل التفسير نوعان هما: دخيل فى المنقول، والآخر دخيل فى الرأى، وأن دخيل المنقول بدوره نوعان هما: ما يأتيه الدخيل والفساد من ناحية السند.

والثانى: ما يأتيه الدخيل والفساد من ناحية المتن.

---

(١) أ.د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ١/ ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثانى

نشأة الدخيل وتطوره

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثانى
نشأة الدخيل وتطوره
المبحث الأول

نشأ الدخيل فى التفسير أول مانشأ من قصد خبيث تقود خطاه العصبية الجاهلة لموروثات العقائد الزائفة، والأهواء الضالة المعادية لنور الحق وهدى السماء، فالعرب فى جاهليتهم وخاصة مشركوا قريش أثاروا بعض الشبهات حول القرآن الكريم، ونبى الله عز وجل وبكان قصدهم من ذلك: الانتصار لعبادة الأوثان، وإسقاط حجية القرآن الكريم بأن أتوا إلى الآيات التى يوهم ظاهرها الاختلاف والتناقض وأخذوا يتحدثون فيها، قاصدين بذلك إظهار القرآن الكريم بمظهر الساقط المتهافت الفارغ المحتوى، المنادى على نفسه باللهو والعبث، ويظهروا رسوله ﷺ، بمظهر الأفاك الأثيم.

ولما كان القرآن الكريم هو جوهر الدين، عمل المسلمون فى كل زمان ومكان على حفظه ونشره وحمايته، وإبقائه بعيداً عن التحريف والتبديل، وذلك مصداقا لقوله عز وجل ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(١).

بيد أن الصحابة رضوان الله عليهم قد حرصوا كل الحرص على القيام بنفس المهمة التى قام بها الرسول ﷺ، بالنسبة للقرآن الكريم، ألا وهى تبليغه للناس بأمانة، وقراءته بتدبر لكى تفهم معنيه فيبلغونها للناس، وبعد أن من الله عليهم وفتح لهم البلاد شرقا وغربا، وقاموا بنشر الدعوة

---

(١) سورة الحجر: آية رقم (٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامية خير قيام، قابلتهم مواجهات شديدة من أصحاب الديانات السماوية وغير السماوية من جهة أخرى.

وحدث تفاعل بين الصحابة وبين هؤلاء الناس نتيجة لتلك المواجهة، فعلى الصعيد غير الإسلامى نجد الملايين من العجم عندما دعاهم الصحابة والتابعون يدخلون فى الدين الإسلامى عن عقيدة وحب واقتناع، لا عن إكراه وإرهاب. وعلى الصعيد الإسلامى نجد ظاهرتين:

أولاهما: أن هناك من دخلوا فى الإسلام من هؤلاء المغلوبين لا عن عقيدة واقتناع بل على دخل ونفاق.

والأخرى: وجدت جماعات من المسلمين ضعاف النفوس، وهؤلاء الضعفاء كانوا فى الحقيقة ألعوبة فى أيدى الخبثاء المنافقين التى تمثلهم الظاهرة الأولى، وكانوا أيضاً يشكلون خطراً جسيماً على الإسلام وأهله. فالفريق الأول يمثل اليد المدبرة والمحركة فى الخفاء، والثانى يمثل اليد المنفذة والفاعلة فى الظاهر.

وفى هذا الجو الفاسد الموبوء انتشرت فى العالم الإسلامى الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمنكرة والشاذة.

وظهرت الإسرائيليات التى كان قد حملها اليهود معهم ونزحوا بها إلى جزيرة العرب مع ما كانت تحمله من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية، ومايتصل بها من شروح وما توارثوه جيلا بعد جبل عن أنبيائهم وأحبارهم، وكانت لهم أماكن يقال لها المدراس يتدارسون فيها.

كما كانت للعرب رحلتان حكى عنهما القرآن، وهما رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، التقوا فيهما بأناس من أهل الك.تاب معظمهم من اليهود كانوا يستوطنون هذه البلاد وكان من أسباب هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللقاءات أن تسربت الثقافة اليهودية إلى العرب الذين كانت ثقافتهم فى ذاك الوقت محدودة وضيقة(١).

وعملت الإسرائيليات عملها فى تشويه حقائق هذا الدين، وباضت وأفرخت المجوسية والديانات الشرقية الغامضة، فولدت الباطنية ومذاهب أخرى فاسدة تنتسب زوراً إلى على كرم الله وجهه، أو آل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

عصر التابعين:

بعد أن انقضى عصر الصحابة وجاء التابعون من بعدهم، وجد الدخيل بابا أوسع مما كان عليه فى عصر الصحابة، وتسرب إلى التفسير بكثرة، وكان ذلك بسبب دخول كثير من أهل الكتاب فى الإسلام.

ويحكى لنا ذلك فضيلة شيخ مشايخنا فضيلة الأستاذ الدكتور الذهبى فيقول: أما التابعون فقد توسعوا فى الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية فى التفسير ويرجع ذلك: لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام.

وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهرت فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة فى التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى، محشوا فى التفسير بكثير من القصص المتناقض(٢).

ثم كان عصر مابعد التابعين فكثرت رواية الدخيل أكثر وأكثر، وأفرطوا فى الأخذ بالإسرائيليات وشغف بها لدرجة أنهم لايستطيعون أن

---

(١) أ.د/محمد حسين الذهبى- الإسرائيليات فى التفسير والحديث، ٢٣- ٢٥.

(٢) الذهبى- التفسير والمفسرون ١/ ١٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرفضوا قولا ولو كان هذا متناقضا مع العقل والفكر، وساعد على ذلك وجود بعض ممن اشتغلوا بالتفسير، وهم فى حقيقة الأمر ليس مشهود لهم بالصدق. كمحمد بن السائب الكلبى ومقاتل بن سليمان.

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التى أصبح الكثير منها نوعا من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلى الذى كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها(١).

وكانت المؤامرة الكبرى من الخبثاء والضعفاء على الإسلام وأهله، تلك التى لانزال إلى وقتنا الحاضر نتجرع سمومها، ونقاسى أهوالها، ونتذوق آلامها ونكتوى بنيرانها(٢).

العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات:

العلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق، بمعنى أنهما يجتمعان فى كل دخيل، وتنفرد الإسرائيليات فى جزئية من جزئيات الدخيل الخاصة بما نقل عن بنى إسرائيل، فكل ماهو إسرائيليات دخيل، وليس كل ما هو دخيل إسرائيليات، فالدخيل أعم وأشمل من الإسرائيليات وأوسع منها مفهوما لأن الإسرائيليات هى الروايات الضعيفة والموضوعة التى لا أصل لها والتى دسها أعداء الإسلام على التفسير ليفسدوا بها عقائد المسلمين، والدخيل يتناول فى لفظه ومعناه عدة جزئيات أو أنواع، منها مافيه مبالغة ودس، وكذب، وتحريف، ولو كان مرويا عن غير إسرائيليين، أو متعلقا بقصص غير إسرائيلى(٣).

---

(١) المرجع السابق، ١٧٧/١ (بتصرف).

(٢) أ.د/ عبدالوهاب فايد- الدخيل ١١/١.

(٣) أ. د/ سيد مرسى - منحة الجليل ٢٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هل كل دخيل يعتبر مرفوضا:

يقول أستاذنا فضيلة الأستاذ الدكتور «سيد مرسى»[١] ليس كل دخيل مرفوضا، فمثلا التوسع فى ذكر قواعد اللغة، وأصول الفقه، ومسائل النحو، والتفصيل فى قواعد أصول الدين والتوسع فى ذكر دلائله، كل هذا لا يرفض بل يقبل، ولكنه لا يعد من التفسير، لأنه لايؤخذ من هذه العلوم فى التفسير إلا بقدر الضرورة، أما التوسع فيها فى التفسير فإنه يعتبر من الدخيل فيه.

---

(١) منحة الجليل ١/٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى
الشبهات التى أوردها المشركون لمحاولة إسقاط حجية القرآن الكريم

ذكرنا فيما سبق عند الحديث عن منشأة الدخيل أن المشركين أثاروا بعض الشبهات حول القرآن الكريم، والآن نريد أن نطلعك على بعض هذه الشبهة.

أولا : الانتصار لعبادة آلهتهم:

بأن جعلوا لله شركاء الإنس والجن، وتشبيه الله عز وجل بما يشبه به بعض خلقة ومن ذلك ما ورد فى قوله تعالى: ﴿**ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال**﴾[١].

يقول الإمام بن كثير رحمه الله فى سبب نزولها:

ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس [٢]: أن رسول الله ، بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال: اذهب فادعه لى «قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله ﷺ، فقال له: من رسول الله ﷺ؟ وما الله؟ أمن ذهب هو: أمن من فضة هو؟ أمن نحاس هو؟

---

(١) سورة الرعد آية ١٣.

(٢) مسند أبى يعلى ١٨٣/٦، ابن كثير- التفسير ٤٤٢/٤، ٣٤٣، ورواها الطبرى من حديث على بن أبى سارة ضعيف ٣٩٢/١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال يارسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لى كذا وكذا. فقال: ارجع إليه الثانية. أراه، فذهب فقال له مثلها، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال يارسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك. قال: ارجع إليه فادعه» فرجع إليه الثالثة، قال: فأعاد عليه هذا الكلام، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهب بفحف رأسه، فأنزل الله: ﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال**﴾.

وهذه الرواية التى رويت عن أكثر من واحد وتكاد تكون هذه الروايات متفقة فى المعنى وإن كانت قد أخذت شكلا آخر عند المجسمة.

ثانيا: ذم كل من يعبد من دون الله على حد قولهم أن الملائكة قد عبدت من دون الله وكذلك المسيح وعزير: فقالوا:

أن الله سبحانه وتعالى ذم كل مايعبد من دونه ومنها الأصنام وعابديها، فقال سبحانه ﴿**إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون**﴾[1].

فلو أن كل مايعبد من دون الله حصب جهنم، فالملائكة من حصب جهنم، وكذلك المسيح وعزير عليهما السام، لأنهم عبدوا من دون الله. فالملائكة عبدت من مشركى العرب ووصفوهم بأنهم بنات الله كما جاء فى قول الحق ﴿**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم**

---

(١) سورة الأنبياء الآيات من ٩٨-١٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾[١].

وقال فى وصفهم للملائكة بأنهم بنات الله ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون﴾[٢]، كما عبد عيسى عليه السلام «وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله»[٣].

وقال سبحانه فى آية أخرى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا﴾[٤]، فشبه المشركون على ما أوردنا فى النص الأول فى عبادة الأصنام ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ الآيات.

بأن لفظ ما فى هذا النص من عموم «ما» الموصولة بأن يكون شاملا لجميع المعبودات والمعبودين من دون الله.

وبحيث يدخل تحتها من زكى الله من الملائكة وعيسى وعزير، قاصدين بذلك الدفاع عن أنفسهم وأصنامهم، وإلى إظهار القرآن بمظهر التناقض والاختلاف، فيصف الله ما قالوه فى حق هؤلاء كلهم:

ما رواه الحافظ بن كثير رحمه الله: بعد أن ذكر هذه الآيات التى ذكرناها آنفا، والآيات التى تليها وهى قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها معبدون لايسمعون حسيسها وهم فى مااشتهت أنفسهم خالدون﴾[٥]، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

---

(١) سورة سبأ الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٢) سورة النحل آية: ٥٧.

(٣) سورة التوبة آية: ٣٠.

(٤) سورة المائدة آية: ١٧.

(٥) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١، ١٠٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبى ﷺ: فقال: زعمت أن الله أنزل عليك هذه الآية ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾.

فقال ابن الزبعرى: قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء فى النار مع آلهتنا، فنزلت ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾ ثم نزلت ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾[1].

وجاء فى السيرة[2]: قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ، يوما فيما بلغنى مع الوليد بن المغيرة فى المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ، حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون﴾.

قال ابن إسحاق: ثم قال رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبدالمطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبدالله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا: أكل مايعبد من دون الله فى جهنم مع من

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٥٧، ٥٨.

(٢) ابن كثير- التفسير ٥/ ٣٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام، فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ، من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله ﷺ، «كل ما أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، أنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته».

وأنزل الله ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فى مااشتهت أنفسهم خالدون**﴾ أى عيسى، وعزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله، ونزل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين**﴾(١).

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالواألهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها(٢).

---

(١) سورة الأنبياء الآيات من ٢٦- ٢٩.

(٢) سورة الزخرف الآيات من ٥٧- ٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام، فكفى به دليلا على علم الساعة يقول: فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم»(١).

وهذا الذى قاله ابن الزبعرى خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطابا لأهل مكة فى عبادتهم الأصنام التى هى جماد لاتعقل، ليكون ذلك تقريعا وتوبيخا لعابديها، ولهذا قال: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ فكيف يورد على هذا المسيح والعزيز ونحوهما ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبدة»(٢).

وذكر ابن جرير فى تفسيره فى الجواب على أن «ما» فى قوله «وما تعبدون» هى لما لايعقل عند العرب، وقد أسلم عبد الله بن الزبعرى، وكان من الشعراء المشهورين، وقد كان يهاجى المسلمين أولا، ثم قال معتذرا.

يا رسول المليك إن لسانى راتق مافتقت إذ أنا بور
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور(٣)

يقول أستاذنا الدكتور «إبراهيم خليفة» فى هذه الشبهة:

كان مبنى هذه الشبهة كما ترى على الخطأ المتعمد فى فهم العموم من «ما» فى أولى الآيات ونجيب عليهم بجوابين:

أحدهما: المنع: نهدم الأمر الأول الذى بنى عليه الثانى، فنمنع عموم «ما» وأقول إن «ما» ليست بحيث تعم عيسى، والملائكة، وعزير. ويمنعها أن «ما» فى لغة العرب موضوعة لغير العاقل، وهؤلاء المعبودين الذين تذكرهم من العقلاء، فلا تشملهم «ما».

---

(١) ابن كثير- التفسير ٣٨١/٥.
(٢) المرجع السابق ٣٨١/٥ بتحقيق سامى السلامة.
(٣) الطبرى- جامع البيان ٧٦/١٧، السيرة النبوية لابن هشام ٤١٩/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: جواب التسليم:

سلمنا عموم «ما» وهى تشملهم كشمولها لغيرهم، ولكن قد جاء التخصيص بآية أخرى ولكنها من العام المخصوص، فمن قرائن النقل التى خصصتها وجاءت بعدها ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ..**﴾ الآيات.

والتخصيص بدلالة العقل: أنه لايعقل أن يتصادم هذا القرآن والذى جاء به النبى أن يتصادم قوله مع نفسه، قام الدليل على إعجاز هذا القرآن وأنه من عند الله، فلا يمكن أن يأتى دليل فيه مايذب عن كونه من عند غير الله(١).

النوع الآخر من الشبهات:

وهو قصدهم إظهار القرآن فى مظهر الساقط المتهافت والعابث اللاهى:

ومن نماذج هذه الشبهة مايأتى:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه أعد فى الآخرة طعاما لأهل النار وهو أن شجرة تخرج لهم فى أصل الجحيم تسمى الزقوم، فقال سبحانه وتعالى ﴿**أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مراجعهم لإلى الجحيم**﴾(٢).

---

(١) الدخيل ١٤٧، (بتصرف).

(٢) سورة الصافات الآيات من ٦٢- ٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهنا استهزأ المشركون بالنبى ﷺ، وبالقرآن فقالوا ساخرين كيف تنبت فى النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

وقال آخر: ما الزقوم إلا التمر والزبد، وأنا أتزقمه، فرد الله عليهم بالآيات السابقة.

وقال الإمام البغوى رحمه الله فى تفسير هذه الآيات(١)، قوله تعالى: «أذلك» أى الذى ذكر لأهل الجنة، و«خير نزلا أم شجرة الزقوم» التى هى نزل أهل النار، و«الزقوم» شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم «تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة».

وقوله ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ للكافرين، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون فى النار شجرة، والنار تحرق الشجر.

وقال ابن الزبعرى: لصناديد قريش: إن محمدا يخوفنا بالزقوم، والزقوم هو الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: ياجارية زقمينا، فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد، فقال الله تعالى ﴿إنها تخرج فى أصل الجحيم﴾ أى قعر النار قال الحسن: أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها «طلعها» ثمرها: سمى طلعا لطلوعه(٢).

وقوله: «كأنه رؤوس الشياطين» قال بن عباس رضى الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم، شبه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح، قالوا كأنه شيطان، وإن كانت الشياطين لاترى، لأن قبح صورتها

---

(١) البغوى- معالم التنزيل ٦/٢٣.

(٢) أ. د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ١/٧١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متصور فى النفس، وهذا معنى ابن عباس، والقرطبى، وقال بعضهم أراد بالشياطين- الحيات، والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا.

وصفوة القول فى هذه الشبهة أن القرآن الكريم تهكم عليهم واستخف بهم كما استخفوا به وبنبيه ﷺ، ورد عليهم هذه الشبهة بعدة أشياء:

أولا : كما أن لأهل الجنة رزقا معلوما ذكرته، الآيات السابقة لهذه الآيات المذكورة، لهم أيضا طعام يتزقمونه فى مقابل طعام أهل الجنة.

ثانيا : قدم الله سبحانه وتعالى خبر إن وهو «لهم عليها لشوبا» الذى يحسن منه أنه خيرا لهم «ففاجآهم بالشوب، وكان المفروض أن يقول «ثم أن عليهم لشوبا بدلا من أن يقول لهم».

ثالثا : بالغ فى جزائهم، كما بالغوا فى إنكارهم، ولم يكتف عليهم بأكلهم منها، بل إنهم سيملؤن منها البطون، وقدم «منها» على «البطون» لأنه هم المهم وهو أكلهم من هذه الشجرة.

رابعا : أضاف لهم مزيدا من الجزاء المناسب، وهذا هو سياق القرآن الكريم وماله من الردع فى الرد عليهم حينما لم يكتفى بالعقوبة المقررة لهم بل زادهم على ذلك، وهو تجرعهم الشوب من الحميم، ثم ساقه «بثم» التى هى للترتيب الرتبى، والتجرع للشوب من الحميم أشد عذابا لهم من الأكل وملىء البطون من شجرة الزقوم، وهنا لما شددوا النكير شدد عليهم العقوبة والفرق بين الترتيب الرتبى والزمنى: أن الزمنى أى بعد فترة فلم يكن مهما، أما الترتيب الرتبى فهو المناسب لذلك المكان.

خامسا: أن القرآن الكريم حينما جاء ليخبر عن وجود الشجرة لم يؤكد قضية وجودها بم ينسجم مع مبالغتهم فى الأنكار، والاستخفاف الذى استخفوا به، وللجواب عن ذلك نقول: أن إنكارهم لما كان فى غير موضعه بالمرة، بحيث إنه ليس عاقل يستبعد ما استبعدوه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحيث أن الله قادر، فهذا إنكار ساق القرآن الكلام غير متأكد تأكيداً بالغاً، ولفت النظر بوصفهم بالظلم؛ والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهم يعرفون أن الشر الأخضر من النار، ولولا أن الله سبحانه وتعالى احترم مسكة متدنية من عقولهم لكان أتى بمؤكد، وإنما هو لم يأت بمؤكد، وإنما هو لم يأت بمؤكد، وإنما أكد الجزاء السيء لأنه كلما أكدته ازداد بذلك الألم، وهنا يزداد الألم والحسرة[1].

---

(١) أ. د/ إبراهيم خليفة- الدخيل ٨٣/١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

أسباب وجود الدخيل

يرجع سبب وجود الدخيل فى التفسير إلى عدة أسباب:

أولا : أعداء الإسلام أو «الزنادقة»:

لقد رأى أعداء الإسلام وخاصة فى العصور الأولى قوة الإسلام وأهله، فهالهم ذلك وأزعجهم، ولذلك تربصوا به الدوائر، ووقفوا فى طريقه بكل ما أتوا من قوة لكى يصدوا الناس عنه، وهؤلاء الزنادقة كانوا دائما حربا على الإسلام والمسلمين، فبين حين وآخر كانوا يكيدون للإسلام بدس الترهات والأباطيل، وترويجها بين الناس على أنها من تعاليم الدين، وكان القصد من ذلك فتنة الناس فى دينهم، وإثارة البلبلة فى نفوسهم، وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية، فقاموا بوضع الأحاديث التى لاتحمل إلا الكذب والبهتان، ونسبوها إلى رسول الله ﷺ.

ومن هؤلاء الزنادقة: عبدالكريم بن أبى العرجاء الذى قتل وصلب في زمن المهدى، قال بن عدى: لما أخذ ليضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام(١).

وذكر السيوطى عن ابن عساكر عن بن عليه أنه قال: أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقى، قال له: أريح العباد منك، قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول

---

(١) السيوطى- تدريب الراوى ٢٨٤/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله ﷺ، كلها ما فيه نطق به قال: فأين يا عدو الله من أبى إسحاق الغزارى وعبد الله بن المبارك فينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا[١].

ومنهم: محمد بن سعيد الشامى المصلوب، قال أحمد بن حنبل: قتله أبوجعفر المنصور وحكى عن الحاكم أنه روى عن حميد عن أنس مرفوعا «أنا خاتم النبيين لانبى بعدى إلا أن يشاء الله: وضع هذا الاستثناء لماكان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى التبنى[٢].

والخلاصة:

أن الزنادقة وضعوا طائفة كبيرة من الأحاديث يفسدون بها الدين، فقد روى العقيلى بسنده إلى حماد بن زيد قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ، أربعة عشر ألف حديث»[٣].

ولكن الله سبحانه وتعالى أيد هذه الأمة برجال، قاموا على خدمة هذا الدين، وحفظوه من كل مفتر عليه، وأفسدوا معتقدات هؤلاء الزنادقة، وبينوا الأحاديث الموضوعة، وكشفوا للناس عن زيفها وبطلانها، قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة فقال: تعيش لها الجهابذة[٤]، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٥].

---

(١) الحديث والمحدثون- ٤٦٤، ٤٦٥، المرجع السابق ٢٨٤/١.

(٢) القرطبى- الجامع لأحكام القرآن ٧٨/١، السيوطى- تدريب الراوى ١/ ٢٨٤.

(٣) السيوطى- تدريب الراوى ٢٨٤/١.

(٤) المرجع السابق ٢٨٢/١، أ. د/عبدالوهاب فايد- الدخيل ١٤/٢ (بتصرف).

(٥) سورة الحجر: آية رقم ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: الخلافات السياسية والدينية:

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه انقسم المسلمون إلى فرق متعددة كالشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة، وكان لكل فرقة من هذه الفرق مذهب وآراء فى السياسة والدين، كما كانت كل فرقة تحاول أن تؤيد مذهبها وترجح آرآها فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا لم تجد طلبها فى هذين المصدرين لجأت إلى تأويل النص، وتحميله ما لا يحتمل، وإذا لم تجد في هذا ولا ذاك، وضعت الأحاديث لكى تنتصر لرأيها(١).

ومن ذلك قولهم: إن رجلاً قام إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين: فقال لا تؤنبنى، فإن النبى ﷺ، رأى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ونزلت: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ يملكها بنى أمية يا محمد.

والرافضة(٢): وهم طائفة من غلاة الشيعة- أكثر هذه الفرق كذباً ووضعاً للحديث فقد سئل مالك بن أنس رضى الله عنه عن الرافضة، فقال: «لاتكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون، وروى الخطب بسنده عن حماد ابن

---

(١) الدخيل ١/١٥ (بتصرف).

(٢) الرافضة: فرقة من شيعة الكوفة، سموا بذلك لأنهم رفضوا أى تركوا زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم حين نهاهم عن الطعن فى الصحابة، فلما عرفوا مقالته، وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب فى كل من غلا فى هذا المذهب، وأجاز الطعن فى الصحابة- انظر- المصباح المنير- للفيومى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلمة قال: «أخبرنى شيخ من الرافضة أنهم كانوا يجتمعون على وضع الأحاديث[١].

أما الخوارج: فقد كان بعضهم يضع الأحاديث، وإن كان وضعهم للحديث قليلاً إذا قيسوا بغيرهم من أصحاب البدع والأهواء، يقول الإمام القرطبى فى تفسيره: إن شيخا من شيوخ الخوارج قال بعد أن تاب «إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرنا صيرناه حديثاً[٢].

وأما المرجئة: فقد وضعوا الأحاديث نصرة لآرائهم، قال الحاكم: كان محمد بن القاسم من رؤوس المرجئة، وكان يضع الحديث على مذهبهم[٣]، وإليك مثالاً آخر من أحاديثهم الموضوعة.

قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: إن قوماً يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضع، حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن أنس مرفوعاً: من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له[٤].

ثالثا: كثرة القصاص واستمالتهم لقلوب العامة والبسطاء:

لقد كثر القصاص كثرة عجيبة، وكانوا من أهم الأسباب والعوامل التى أدت إلى وجود الدخيل فى التفسير والحديث، وراج هذا الدخيل لدى

---

(١) السيوطى- تدريب الراوى ١/٢٨٥.

(٢) القرطبى- التفسير ١/٧٨.

(٣) تدريب الراوى ١/٢٨٥.

(٤) المرجع السابق ١/٢٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البسطاء والجهلة. فقد ظهرت فى زمن التابعين وتابعيهم جماعة يعظون الناس فى المساجد والأسواق كانوا يعرفون بالقصاص، وكانوا يتكسبون مما يلقونه على الناس من قصص وعظات، وأحاديث وحكايات، وكلما كان القصص منهم أغرب كان التفات الناس حولهم أشد، وعطائهم لهم أكثر.

وحينما يرد سؤالا: لماذا تقبل الناس هذه الغرائب وهذه العجائب من هؤلاء القصاص، على الرغم من كذبها.

نقول: إن النفس تميل دائما إلي سماع القصص وتستهويه، فإذا كان مايستمع هذا محصنا بالعلم والثقافة الدينية، واستطاع أن يميز الصحيح من الفاسد ويفرق بين الحق والباطل، تقبلت هذه الغرائب والأعاجيب(١).

ومن هذه الغرائب والعجائب مايلى:

ما رواه ابن الجوزى بإسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى قال: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا: حدثنا عبدالرازق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله ماسمعت هذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه أخذ العطيات، ثم قعد ينتظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده: تعال:فجاء متوهما لنوال، قال له يحيى من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ماسمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ، فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققت هذا إلا الساعة، كأن ليس يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، وقد كتبت عن

---

(١) أ.د/ سيد مرسى- منحة الجليل ٦١/١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما(١)، فانظر إلى أى مدى وصلت بهذا القصاص الخسة والندالة والوقاحة، حتى يقوم كالمستهزئ بهما.

وهنا يقع سؤال آخر، كيف تقبل العامة هذه هذه الأحاديث المكذوبة، والقصص الغريبة بهذا الشغف الواضح، وكيف أقبلوا عليها هذا الإقبال الشديد.

يجيب على هذا السؤال فضيلة أستاذنا الدكتور «سيد مرسى» فيقول: إن ألسنة هؤلاء القصاص أحلى من العسل، ولكن قلوبهم قلوب الذائاب، فمن السهل أن يحبكوا القصة فى خبث ومهارة حبكا تاما، على الرغم من الكذب الذى تشتمل عليه القصة، ثم يذيعوا تلك القصة بين أوساط العامة، ومن يستخفونهم من الجهلة والبسطاء فإذا بها وقد شاعت وانتشرت، وتلقفها نفر من الناس منسوبة إلى رسول الله ﷺ، مع أن رسول الله ﷺ، برئ منها ومن قائليها ومروجيها(٢).

رابعا: الجهل بالدين مع القصد الحسن:

لقد فعل بعض الزهاد والعباد والجهلة كل ما سنح لهم أن يفعلوه فوضعوا الأحاديث فى الترغيب تارة، وفى الترهيب تارة أخرى، زاعمين فى ذلك أنهم يتقربون إلى الله عز وجل، ويحسبون بذلك «أنهم يحسنون

---

(١) أ.د/ محمد أبو شهبة- أصول الحديث ٧٦، وشكك فى هذه القصة، ولكنه قال بعد ذلك إن التشكك لايعود على أصل الفكرة بالنقض. السيوطى- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ٥١ ومابعدها.

(٢) منحة الجليل ١/٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صنعا» وإذا حذرهم أحد من ذلك الفعل الشنيع وهو الكذب على رسول الله ﷺ، مصداقا لقوله ﷺ، «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فيقول هؤلاء الجهلة: نحن ما كذبنا عليه، وإنما كذبنا له» أى لصالح الدين فى زعمهم الفاسد.

وفى مقدمة من فعل هذا الفعل القبيح طائفة تسمى «بالكرامية»[1].

يقول الإمام السيوطى رحمه الله: جوزت هذه الطائفة وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب، واستدلوا على ذلك- بما روى في بعض طرق الحديث «من كذب على متعمدا ليضل به الناس» وحمل بعضهم: «من كذب على» أى قال إنه شاعر أو مجنون «وقال بعضهم: إنما نكذب له لا عليه».

قال السيوطى- وهو- أى الذى قالوه من جواز الوضع فى الترغيب والترهيب خلاف إجماع المسلمين الذين يعتد بهم[2].

هذا ولم يسكت علماؤنا الأجلاء على فعل هؤلاء وأمثالهم، فقاموا بالرد على الشبهة التى تعلقوا بها فى هذا المجال، وبينوا أن الرسول ﷺ لا يحتاج فى كمال شريعته إلى مايختلقه هؤلاء الوضاعون، فعملهم هذا إنما يدل على وقاحتهم وجهلهم، وقلة عقولهم.

هذا ونحب أن ننبه القارئ الكريم إلى شىء مهم وهو: أن غالبية ما وضعوه فى فضائل القرآن لكى يرغبوا الناس فيه هو من وضعهم أيضا.

---

(١) «الكرامية» بتشديد الراء- طائفة من المبتدعة ينسبون إلى زعيمهم اسمه: محمد بن كرام أحمد المتكلمين الذين يذهبون إلى التجسيم والتشبيه فى ذات الله تعالى وصفاته «تعالى عما يقولون علوا كبيرا» انظر- الدخيل ١٩/٢.

(٢) تدريب الراوى ٢٨٣/١، ٢٨٤ (بتصرف)، الباعث الحثيث، ٨٥، ٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك ما وضعوه فى أواخر السور كما في كتاب البيضاوى وكتاب إحياء علوم الدين هو من فعلهم. تعال الله عن ذلك علوا كبيرا.

خامسا: التقرب إلى الخلفاء والأمراء:

فعل هذا بعض علماء السوء- فكانوا يتقربون إلى الأمراء والخلفاء بوضع الأحاديث محاولين بذلك ارضاءهم، والقرب منهم، ونيلا للحظوة عندهم، فكذبوا على رسول الله ﷺ، من أجل دنيا يصيبونها، أو الحصول على مال زائل.

ومن الأمثلة على ذلك: مافعله غياث بن إبراهيم النخفعى، فقد دخل على المهدى العباسى، وكان المهدى يحب الحمام ويلعب به، فإذا أمامه حمام، فقيل له: حدث أمير المؤمنين فقال: حدثنا فلان عن فلان أن النبى ﷺ قال: لاسبق إلا فى نصل أو خف أو حافر أو جناح، وزاد فى الحديث «أو جناح».

فأمر له المهدى بجائزة، فلما قام قال: أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ، ثم قال المهدى:أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ماكان فيه(١).

ويروى أن هذه الحكاية إنما حدثت مع الخليفة هارون الرشيد، وأن الذى تولى كبرها قاض من قضاة الرشيد، اسمه أبو البخترى، وأن الرشيد لما أمر بالحمام أن يذبح قيل له، وما ذنب الحمام، فقال من أجله كذب على رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) السيوطى- تدريب الراوى ١/ ٢٨٥، أ. د/ عبدالوهاب فايد- الدخيل ٢/ ٢١.

(٢) القرطبى- الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٧٩- ٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسا: اتخاذ الدخيل مهنة وصناعة:

مما ساعد على وجود الدخيل أيضا أن قوما اتخذوه حرفة ومهنة، وهؤلاء القوم ممن لادين لهم ولاتقوى عندهم، ولانزاهة فى شريعتهم.

حتى أن بعضهم كان يسهر الليل كله فى وضع حديث كأبى البختى وهب بن القاضى. والحسين بن علوان، وسليمان بن عمرو النخعى، فكانوا يضعون للحديث الضعيف إسنادا صحيحا، بل إن بعضهم كان يركب حديث هذا على حديث هذا لكى تستغرب هذه الأحاديث بتلك[1].

---

(١) ابن عراق الدمشقى- تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة ١/١١-١٥، الدخيل فى التفسير للدكتور- حسين عمر/٢٧ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

أنواع الدخيل فى التفسير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

أنواع الدخيل فى التفسير

تمهيد:

للدخيل فى التفسير أنواع كثيرة[١]، منها: الإسرائيليات ومنها: الأحاديث الموضوعة والضعيفة، ومنها: التفسير بالرأى المذموم والاجتهاد[٢]، ومنها: تأويلات الباطنية، ومنها: شطحات المتصوفة، ومنها: بدع التفاسير اللغوية، ومنها تحريفات البهائية والقاديانية، ومنها شطحات المفسرين المعاصرين.

والسؤال المطروح الآن: كيف تسللت هذه الأنواع الكثيرة من الدخيل إلى تفسير كتاب الله عز وجل، ومن أين. نقول إن هذه الأنواع المذكور تسللت إلى التفسير من قبل المصادر المذكورة سابقا والتى تحدثنا عنها فى مبحث المصادر الغير أصلية. وسنبين لك بإيجاز بسيط كيف تسللت:

---

(١) أ.د/ عبدالوهاب فايد- الدخيل ١٠٢/١.

(٢) أطلق هذا النوع من الدخيل فى التفسير من قبل أستاذنا الدكتور سيد مرسى ولم نعرف ما يعنيه من هذا الإطلاق، هل التفسير بالرأى عموما أم أنه أراد نوعا ما من أنواع التفسير بالرأى، وعلق على هذا الكلام فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة فى كتابه الدخيل فقال: إن تفسير القرآن بالرأى المحمود ليس من الدخيل خلافا لمن توهم ذلك ٢٨٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا: الإسرائيليات:

سبق فى المبحث السابق أن بينا لك كيف دخلت هذه الإسرائيليات فى التفسير ومدى تدرجها فى الدخول. وسنذكرها لك بالتفصيل فيما بعد.

ثانيا: الأحاديث الموضوعة(١)، والضعيفة(٢):

بدأ الوضع فى الحديث عند ظهور الفرق الإسلامية بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، فكانت كل فرقة تحاول بشتى الطرق وبكل الوسائل أن تنتصر لرأيها ومذهبها، ومن هذه الوسائل وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، وغرض هؤلاء الجاهلين التشكيك فى جميع المنقول عن النبى ﷺ، فى التفسير، وإظهار أنه من المنتحل الموضوع الذى لاقيمة له أصلا حتى ينصرف المسلمون بالكلية، فيفقدوا بذلك جزءا عظيم الأهمية من

---

(١) الحديث الموضوع: هو الحديث المختلقة الذى وضعه واضعه ولا أصل له. وهو أنواع: منه: ما وضعه الواضع من عند نفسه ثم أضافه إلى رسول الله ص، وهذا النوع هو أكثر أنواع الموضوعات. ومنه مايضعه من عند نفسه وإنما أخذ كلام غيره ككلام بعض السلف مثلا ثم يضيفه إلى الرسول ﷺ.
ومن أنواع الوضع كذلك: ما يعمد إليه بعض الوضاعين عندما يأخذون حديثا من الأحاديث الضعيفة الإسناد فيجعل لها إسنادا صحيحا ليروج الحديث.
انظر- قواعد أصول الحديث- للأستاذ الدكتور- أحمد عمر هاشم، ص١١٧.

(٢) الحديث الضعيف هو: ما لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن وهذه الصفات هى: اتصال السند، وعدالة الراوى، وضبطه، وعدم الشذوذ والعلة، ومجئ الحديث من وجكه آخر إذا كان فى الإسناد مستور غير متهم بالكذب، ولابكثرة الغلط، فكل حديث فقط هذه الشروط أو بعضها فهو ضعيف- انظر المرجع السابق، ص٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمر دينهم وبيان نبيهم ﷺ، كما سلك منها آخرون عين هذا المسلك لكن فى مجرد الفهم الخاطئ فى الاعتراف الثابت من المنقول عنه ﷺ، وقيمته.

وقد امتد الوضع فى الحديث إلى تفسير القرآن الكريم وبخاصة إلى المصدر الأول وهو التفسير بالنقل، فكان ذلك من أسباب ضعفه، وعدم الوثوق به، ومن هنا يتبين لنا أن الأحاديث الموضوعة والضعيفة تسللت إلى كتب التفسير عن طريق المصدر الثانى من مصادر التفسير وهو: السنة النبوية(١).

ومن المعلوم أن الذى قام بنقل السنة النبوية الصحيحة هم الصحابة والتابعون ثم اتباع التابعين رضى الله عنهم أجمعين.

ولايفهم من هذا أننا نقصد اعتبار الحديث الموضوع والضعيف من السنة، كلا وألف كلا، وإنما القصد أن نقول: أنها نسبت إلى الرسول ﷺ، كذبا وبهتانا.

ثالثا: بدع التفاسير اللغوية:

هذا اللون دخل إلى التفاسير عن طريق اللغة باعتبار أنها مصدر من مصادر التفسير. وحدث ذلك عندما تعرضت طائفة من الناس ليس لهم علاقة باللغة العربية ولا مصادرها، وليس لهم دراية بأسرارها، ولم تتوفر فيهم الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يتصدرى للتفسير(٢).

---

(١) أ.د/ عبدالوهاب فايد- الدخيل ١٠٤/٢ (بتصرف).

(٢) ليس لأحد من الناس أن يتصدى لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى إلا إذا تسلح بأدوات لابد منها قبل أن يخوض فى تفسير كتاب الله تبارك وتعالى. فمن المعلوم أن كل من تصدى لصفة لابد وأن يتعلم دقائقها وبواطنها قبل أن يقال عنه إنه صانع. فعلم الطب مثلا يحتاج إلى دراسة عميقة وطويلة ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.....

=== ثم بعد ذلك يقال لهذا الدارس إنه طبيب. إذا تقرر هذا فنقول إنه من الخطورة بمكان أن يتصدى أحد من الناس لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى وهو غير مؤهل ولم تتوافر فيه الشروط التى أوجبها العلماء على كل من أقحم نفسه وفسر كتاب الله تبارك وتعالى كما جاء فى كتاب الإتقان للسيوطى فقد قال مانصه مع زيادة التوضيح وحسن التصرف وسهولة المعنى قال بعض العلماء اختلف الناس فى تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟

فقال قوم لايجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالما أديبا متسعا فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى ﷺ فى ذلك ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر إليها وهى خمسة عشر علما.

أحدها- (اللغة):

فبها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلوماتها بحسب الوضع ويقول الإمام مالك فى هذا الصدد (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله تعالى إلا جعلته نكالا ولا يكفى اليسير من اللغة فلا بد وأن يكون متعمقا واسع التبحر فى هذا العلم فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين ويكون المراد الآخر وكذلك العلم بالفروق اللغوية والعلم باللغة نثرها ونظمها من الأسباب التى مكنت عبد الله بن عباس رضى الله عنه من أن يكون ترجمان القرآن وحبره فكثيرا ما كان يرجع إلى لغة العرب إذا استشكل عليه لفظ أو استغلق عليه معنى ولذلك كان جديرا بأن يكون أستاذ المدرسة المكية التى هى خير المدارس التفسيرية.

الثانى - (النحو):

لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره؛ ذلك أن معرفة الأحكام التى للكلم العربية من جهة إفرادها وتركيبها أمر لابد ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=== منه لمن خاض فى تفسير كتاب الله تبارك وتعالى، ويؤخذ ذلك من علم النحو. أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها[١] أ. هـ.

ومن المعلوم أنه من لم يعرف النحو كان معرضا للوقوع فى أخطاء فاحشة قد تصل به إلى الخروج عن ربقة الإسلام ذلك أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ونضرب لذلك مثلا بهذا الرجل الذى قرأ قوله تعالى ﴿أن الله برئ من المشركين ورسوله﴾ بحر رسوله فكاد يقع فى الكفر لجهله بالنحو فكان هذا سببا من الأسباب التى أدت إلى وضع علم النحو.

الثالث- (علم التصريف):

لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم لأنه «وجد» مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت مصادرها فإنها تستعمل فى العثور على الدابة وفى الحصول على المطلوب وفى الغضب وفى الغنى وفى الحب وإنما تتميز بالمصادر يقال وجد ضالته وجدانا بكسرالواو ومطلوبه وجدا بضمها فى الغضب موجدة بكسر الجيم وفى الغنى وجد بضم الواو وفى الحب وجدا بفتح الواو[٢]. وقال الزمخشرى فى تفسيره من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام فى قوله تعالى ﴿يوم ندعو كل إناس بإمامهم﴾[٣].

إنه جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال: وهذا أوجبه جهله بالتصريف فإن أم لا تجمع على إمام وصدق ===

---

(١) الإتقان، جـ٤، ص١٨٧، ط: دار التراث.

(٢) نقله ابن الصلاح فى مقدمته، ص١٦٧ عن المعانى يبين زكريا الهروانى.

(٣) سورة الإسراء: آية ٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.....

.....

=== الزمخشرى فيما ذهب إليه ومن العجيب أن كثيرا من الجهلة يفسرون هذه الآية بهذا المعنى ولقد شاع هذا المعنى وأصبح على ألسنة كثير من الأميين.

الرابع - (الاشتقاق):

لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح فمن الأول سمى مسيحا لكثرة سياحته وأما الثانى فلأنه كان لايمسح على ذى عاهة إلا برئ بإذن الله.

الخامس- (علم المعانى):

وبه يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

السادس - (البيان):

وبه يعرف خواصها من حيث اختلافها.

السابع- (البديع):

وبه يعرف وجوه تحسين الكلام وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة وهى من أهم وأعظم أركان المفسر فبها يستطيع أن يصل إلى الأسرار البلاغية فى القرآن الكريم فيدرك الإعجاز القرآنى.

قال ابن الحرير أعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لايدرك إلا بالذوق والمشاهدة وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاء الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ورادوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وقال الزمخشرى فى هذا الصدد من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها.

ويقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة مبينا الطريقة المثلى فى هذا الشأن وتعلم البلاغة بالطريقة التى وضعها السكاكى وأمثاله ممن قعدوا القواعد وفلسفوها لاتكون ملكة ولا تربى ذوقا وكثيرا ممن درسوا ===

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=== البلاغة على هذا النحو الجاف لا يستطيع أن يكتب صحيفة أو يحبر مقالا رائقا مشرقا يأخذ بمجامع القلوب ويستولى على النفوس فضلا عن كتاب. وإنما الذى يجدي فى تكوين الملكة وتربية الذوق البلاغى وإهاف الحس الأدبى هو: مزاولة الجيد من القول والبليغ من كلام العرب نثرا ونظما والمقارنة والموازنة بين الأساليب وطرق البيان وكثرة المدارسة والممارسة لكلام البلغاء والفصحاء وهى طريقة الإمام عبد القاهر الجرجانى ومدرسته وذلك كما صنع فى كتابيه الجليلين (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) حينئذ يتسهل على المفسر لكتاب الله وإدراك ما فيه من فصيح الكلام وبليغ المعانى وأسرار الإعجاز[١].

ويعتبر الزمخشرى أعظم مفسر استطاع أن يدرك يستخرج الأسرار البلاغية ويتذوق المعانى لكتاب الله تبارك وتعالى وهو خير من أفصح أسرار إعجاز القرآن الكريم بطريقة ما يسمى بالسهل الممتنع لا بطريقة الجدل. والفلسفة التى لا تعطى الثمرة المرجوة.

الثامن: (علم القراءات):

لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن الكريم وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض وبالقراءات أيضا يستوضح المعنى. إذا استغلق على الذهن، ذلك أن القراءات كثيرا ما توضح المعنى.

التاسع: (علم أصول الدين):

ليعرف إذا فسر كتاب الله تبارك وتعالى مايجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز له وماهو متره عنه وأيضا يستطيع أن يعرف الفرق بين العقائد والشرائع وأيضا يدرس الأديان السماوية السابقة كالايهودية والنصرانية ليعرف كيف حل بهما التحريف والتبديل من بعد موسى وعيسى

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ص٣٣، ط: مكتبة السنة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.....

=== عليهما السلام فإذا فسر قول الله سبحانه وتعالى ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾[١].

استطاع أن يفسر تفسيرا علميا يتفق وحقائق الأمور.

العاشر- (علم أصول الفقه):

فبه يعرف وجه الاستدلال وعلى الأحكام والاستنباط.

الحادى عشر- (علم أسباب النزول والقصص والأخبار):

لأن معرفة سبب النزول يعرف المعنى المراد من الآية فكثيرا ما يكون سبب النزول هو الطريق السليم إلى الوصول إلى مراد الله تبارك وتعالى وبعلم القصص يعلم ماهو دخيل على الرواية الإسلامية وما هو حق وما هو باطل.

الثانى عشر- (علم الناسخ والمنسوخ):

ليعرف المحكم من غيره وهو مهم للمفسر وإلا وقع فى خطأ شديد.

الثالث عشر- (علم الفقه):

فبه يعرف آراء الفقهاء وطريقة استدلالهم بآيات الأحكام ومن احتج منهم بالآية ومن لم يحتج بها.

الرابع عشر- (علم الأحاديث المبنية لتفسير المجمل المبهم):

وأيضا يجب أن يكون عالما بالصحيح والضعيف والموضوع، والحقيقة أن عدم دراية بعض المفسرين بالسنة بطريقة عميقة أوقعهم فى أخطاء فاحشة أساءت إلى الإسلام وإلى القرآن معا فلو أن المفسرين جميعهم كانوا من حفاظ الحديث لما وقع فى كتب التفاسير كل هذه الروايات الإسرائيلية التى لا تتفق ومبادئ الإسلام والتى أدت إلى فتح ثغرات دخل منها أعداء الإسلام وحاولوا أن يدسوا منها سمومهم وما أكثر الأحاديث الضعيفة ===

---

(١) سورة المائدة: آية رقم ٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.....

=== بل والموضوعة- وللأسف الشديد دخلت فى كتب التفاسير على وجه العموم.

الخامس عشر- (علم الموهبة):

وهو علم يهبه الله لمن عمل بها علم كما جاء فى حديث النبى ﷺ، «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

فهذه العلوم التى هى كالآلة للمفسر لايكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر القرآن بدونها كان مفسرا بالرأى المنهى عنه إذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأى المنهى عنه والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبى ﷺ.

قال الإمام السيوطى رحمه الله:

«ولعلك تستشكل عم الموهبة وتقول هذا شىء ليس فى قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الأشكال، والطريق فى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد وقال الزركشى فى البرهان اعلم أنه لا يحصل من ناظر فهم معانى الوحى ولايظهر له أسراره وفى قلبه دعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقولة وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض قال السيوطى تعليقا على ماقاله الزركشى وفى هذا المعنى قوله تعالى ﴿**سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق**﴾[1] أ.هـ[2].

أقول وعلم الموهبة يأتى بعدأن يعمل الإنسان بماعلم كما فى حديث رسول الله ﷺ، وأيضا بعد الإخلاص لله سبحانه وتعالى وبعد رياضات===

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم ١٤٦.

(٢) السيوطى: الإتقان ١٨٨/٤، ط: دار التراث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأتى إلينا بالبدع والغرائب، مما أدخل على التفسير الشاذ والعليل، فالتبس على الناس الأصيل بالدخيل.

رابعا: تأويلات الباطنية:

وقد تحدثنا عنهم عند ذكرنا للخلافات السياسية والدينية، فى أسباب وجود الدخيل، فليرجع إليها هناك.

خامسا: شطحات المتصوفة فى التفسير:

نريد أن نوضح نقطة هامة بالنسبة للمتصوفة وهى: أن التصوف كله لايقع فى دائرة الدخيل لأنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

وهو لجماعة يفسرون القرآن الكريم تفسيرا إشاريا بعد توافر الشروط التى يحتاجها المفسر، وهذا التفسير لايصطدم مع اللغة أو الدين ولايهملون مع ذلك التفسير الظاهرى للقرآن الكريم، فيعتمدون على الظاهر والباطن للآية، وهذا الفريق ليس هناك مانع من قبول تفسيره.

=== روحية مع الله سبحانه وتعالى وذلك بالخلوة مع الله وكثرة الاستغفار والمداومة والحرص على أداء الفرائض.

هذا وقد زاد بعض العلماء علوما أخرى لابد منها للمفسر فمثلا زاد الشيخ محمد عبده وتليمذه السيد محمد رشيد رضا بعض العلوم الأخرى فمثلا قالوا بأنه ينبغى عليه أن يكون عالما بتاريخ البشر وعلم السيرة والعلوم الكونية وأضاف البعض علوما أخرى ولكننا أعرضنا عنها لعدم الإطالة[١].

---

(١) أ.د/ محمود فودة- التفسير ومناهجه، ١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القسم الثانى:

وهو لجماعة من المتنطعين المشعوذين تأخذهم العزة بالنفس فلا يرون التفسير إلا رموزا وألغازا، فيشطحون فى المعانى والأفكار، ويتكلمون فى جو مملوء بالغموض والإبهام، فهذا التفسير ما أنزل الله به من سلطان وهذ هو المقصود بالدخيل فى التفسير.

سادسا: تحريفات البابية(١) والبهائية(٢)، والقاديانية(٣):

كانت لكل طائفة من هذه الطوائف آراء منحرفة، ومعتقدات باطلة وقد حاولت أن تتمسح بالقرآن الكريم، لكى تحرف الكلم عن مواضعه، وتلحد

---

(١) **البابية:** نسبة رلى الباب، وهو لقب ميرزا على محمد الذى ابتدع هذه النملة وإليه تنسب هذه الطائفة: باعتباره المؤسس لها، وأصل نشأتها: أن ميرزا على محمد الملقب بالباب والمولود سنة ١٢٣٥هـ توفى عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه، فربى فى حجر خاله ميرزا سيد على، ونشأ معه فى مدينة شيرزا بجنوب إيران، واشتغل معه بالتجارة، ولما بلغسنه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب، والباب عند الشيعة معناه نائب المهدى المنتظر، وكان ادعاؤه فى سنة ١٢٦٠هـ، ومالبثت هذه الدعوى إلا أن وصلت إلى طائفة من الجاهلين فصدقوا بها، وتتابعوا عليها، انظر- التفسير والمفسرون، أ.د/محمد حسين الذهبى ٢/٢٥٥.

(٢) **البهائية:** نسبة إلى بهاء الله، وهو لقب يدعى به ميرزا حسين على الزعيم الثانى للمذهب البهائى، وإليه ينسب المذهب باعتباره المؤسس الثانى له. انظر دفاع عن الإسلام أ.د/ أمين راشد، ١٦٩.

(٣) **القاديانية:** تنسب إلى ميرزا غلام أحمد القادياانى المولود سنة ١٢٥٢هـ فى قرية قاديان التى ينسب إليها، وقد ظهرت هذه الطائفة فى بلاد الهند فى القرن التاسع عشر- المرجع السابق/ ٢١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى آيات الله فيفتتن المسلمون فى دينهم، وتحاول كل فرقة أن توقع البلبلة فى نفوسهم بالاجتهاد الخاطئ، ولكن يأبى الله والمسلمون ذلك، فلقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه من قديم الأزل حينما قال ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(١).

فحفظه من أى تغيير أو تبديل، وحقاً فهو ﴿**كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾(٢).

سابعاً: شطحات المفسرين المعاصرين:

ظهر فى عصرنا الحاضر جماعة من الناس يتصدون لتفسير كتاب الله عز وجل من غير أن يكون عندهم أهلية للتفسير، معتقدين فى ذلك أن القرآن ليس حكراً على أحد، بل هو مشاعاً بين المسلمين، ولا يفرقون بين المتخصص وغير المتخصص، وأين هم من قوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾(٣).

ولا أخفى عليك أنى رأيت بعينى هؤلاء المتجرئين على كتاب الله عز وجل، فتجد الواحد منهم يصعد إلى المنبر فى يوم الجمعة فيقول للناس استمعنا من القارئ قول الله تعالى كذا وكذا، ثم يشرح فى تفسير كلام الله عز وجل، كأنه الطبرى أو الفخر الرازى، ولو سئل أحد الصحابة رضى الله عنه فى عصره عن هذه الآية لسكت خوفاً من أن يقول على الله بغير علم، ولكن ماذا نفعل مع هؤلاء، فلا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) سورة الحجر: آية رقم ٩.

(٢) سورة فصلت: آية ٤٢.

(٣) سورة التوبة: آية رقم ١٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونقول لهؤلاء الناس اتقوا الله عز وجل فى كتابه، فهو ليس كتاب شعر أو أدب إذا ما أخطأت فيه كان الخطأ هينا وبسيطا، وإنما القرآن الكريم كتاب هداية وهو دستور المسلمين، وهو من باب الرواية عن الله عز وجل.

فإذا لم يمتنع عما يقوله، وأجهد نفسه فى تصيد الأشياء الغريبة فى التفسير وحاول أن يلصقها بكتاب الله، كان هذا التفسير دخيلا، وخطرا على كتاب الله عز وجل كالأنواع السابق.

هذا وسنتحدث عن هذه الأشياء التى ذكرناها لك من أنواع التخيل بإطناب بعد ما أوجزناها لك فنقول وبالله التوفيق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner